

الفصل الخامس

غزوة بدر الكبرى: الأحداث والنتائج

عندما سمع الرسول ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام في تجارة لقريش، ندب المسلمين إليه، وقال لهم: «هذه عير قريش، فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله يَنْفِلَكُمُوهَا». [ابن إسحاق: السيرة، حسن].

وفي رواية عن أبي أيوب الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: «إني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة، فهل لكم أن نخرج قِبَل هذه العير، لعل الله يَغْنَمَها؟ قلنا: نعم. فخرج وخرجنا معه» [الهيثمي: المجمع، وعزاه إلى الطبري، وسنده حسن].

والمخبر في رواية مسلم (١٩٠١): بُسَيْسَة، وعند أهل السير والمغازي: بَسْبَس ابن عمرو، ويقال: ابن بشر.

ولم يستنفر الرسول ﷺ كل الناس، بل طلب أن يخرج معه من كان ظهره [راحلته] حاضرًا، ولم يأذن لمن أراد أن يأتي بظهره من علو المدينة [مسلم]، ولذا لم يعاتب أحدًا تخلف عنها. [البخاري]. وكان عددهم ما بين الـ٣١٣ والـ٣١٩ رجلاً [متفق عليه، وعند مسلم: ٣١٩ رجلاً، وهو ما نعتمده]، منهم ما بين الـ٨٢ والـ٨٦ من المهاجرين و٦١ من الأوس و١٧٠ من الخزرج [البخاري؛ ابن إسحاق في السيرة]، معهم سبعون بعيراً، [فاعتقبوها - أي تعاقبوا على ركوبها، وفرسان فقط] [أحمد: المسند، حسن؛ ابن إسحاق، حسن].

وكان أبو لُبَابَة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله ﷺ، فعندما جاء دوره في المشي، قال له: «نحن نمشي عنك». فقال لهما: «ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما». [نفسه].

وفي الطريق، وعندما بلغوا الرّوحاء، رد الرسول ﷺ أبا لبابة وأمره على المدينة، وسبق ذلك أن جعل عبد الله بن أم مكتوم على الصلاة. [الحاكم]، وأصبح مكانه في زمالة الرسول ﷺ على البعير مرثد [ابن إسحاق، حسن] بن أبي مرثد. ولذلك فلا خلاف بين رواية ابن إسحاق ورواية أحمد.

وعندما علم أبو سفيان بالخطر المُحدق بقافلته، أرسل ضمضم بن عمرو الغفاريّ إلى مكة يستنجد بقريش.

وجاء ضمضم مسرعاً إلى مكة، وعندما دخلها وقف على بعيره، وقد جدد أنفه، وحول رحله وشق قميصه، وهو يصيح: «يا معشر قريش، اللطيمة، اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث، الغوث». [نفسه].

وخرجت قريش مسرعة لإنقاذ غيرها ورجالها، ولتلتقي بالمسلمين في حرب تراها قاضية على قوة المسلمين التي ظلت تهدد تجارتهم. ولم يتخلف من أشرفهم سوى أبي لهب، فإنه أرسل مكانه العاص بن هشام، مقابل دين كان عليه، مقداره أربعة آلاف درهم. [نفسه]. ولم يتخلف من بطون قريش سوى بني عدي. [نفسه].

وبلغ عددهم في بداية مسيرهم نحو ألف وثلثا ثمانية محارب، معهم مائة فرس وستمائة درع وجمال كثيرة، بقيادة أبي جهل [البداية، من حديث الأموي بإسناد مرسل، وفيه أنه كان مع المشركين ستون فرساً].

وعندما خشوا أن تعذر بهم بنو بكر لعداوتها معهم، كادوا أن يرجعوا عما أرادوا. [ابن إسحاق، حسن مرسل]، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك المدلجي، سيد بني كنانة، وقال لهم: «أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه». [نفسه]. فخرجوا من ديارهم كما حكى عنهم القرآن: ﴿بَطْرًا وَرِشَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّوكَ عَنِ

سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأفال: ٤٧] [تفسير الطبري، مرسل صحيح].

رأت عاتكة بنت عبد المطلب فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بنخبر أبي سفيان بثلاث ليال، فقالت: رأيت رجلاً أقبل على بعير له فوقف بالأبطح، فقال: انفروا يا آل بدر لمصارعكم في ثلاث، فذكرت المنام، وفيه: ثم أخذ صخرة فأرسلها من رأس الجبل، فأقبلت تهوي حتى ترضضت، فما بقيت دار ولا بنية إلا ودخل فيها بعضها. وفي القصة إنكار العباس على أبي جهل قوله: «حتى حدثت فيكم هذه النبية»، وإرادة العباس أن يشاتم، واشتغال أبي جهل عنه بمجيء ضمضم يستنفر قريشاً لصد المسلمين عن غيرهم، فتجهزوا وخرجوا إلى بدر، فصدق الله ﷻ رؤيا عاتكة. [ابن إسحاق، حسن لغيره].

لقد كان أبو سفيان متيقظاً للخطر المتكرر من جانب المسلمين. ولذا عندما اقترب من بدر لقي مجدي بن عمرو وسأله عن جيش الرسول ﷺ، فأفاده مجدي بأنه رأى راكبين أناخا إلى تل، ثم استقيا في شن لهما، ثم انطلقا، فبادر أبو سفيان إلى مناخهما، فأخذ من أبعاد بعيريهما، ففته، فعرف منه أنه من علائف المدينة، فأسرع تاركاً الطريق الرئيس الذي يمر على يسار بدر، واتجه إلى طريق الساحل غرباً، ونجا من الخطر. ثم أرسل رسالة أخرى إلى جيش قريش، وهم بالجحفة، يخبرهم فيها بنجاته، ويطلب منهم الرجوع إلى مكة. [ابن إسحاق، حسن].

وهمَّ جيش مكة بالرجوع، ولكن أبا جهل رفض ذلك، قائلاً: «والله لا نرجع حتى نرد بدرًا، فنقيم بها ثلاثاً، فننحر الجزور ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً، فامضوا». [الطبري: التفسير، حسن]. [وبدر: اسم لبئر حفرها بدر بن قريش بن الحارث بن مخلد ابن النضير بن كنانة، فنسبت له].

فأطاعه القوم ما عدا الأخنس بن شريق، حيث رجع بقومه بني زهرة، وطالب ابن أبي طالب، لأن قريشاً في حوارها معه، اتهمت بني هاشم بأن هواهم مع محمد ﷺ.

وساروا حتى نزلوا قريباً من بدر، وراء كثيب يقع بالعدوة القصوى، على حدود وادي بدر [ابن إسحاق، حسن].

وبلغ خبر ذلك الرسول ﷺ، فاستشار أصحابه. [متفق عليه]. وخشي فريق منهم المواجهة في وقت لم يتوقعوا فيه حرباً كبيرة، ولم يستعدوا لها بكامل عدتهم وعتادهم، فجادلوا الرسول ﷺ ليقنعوه بوجهة نظرهم. وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجٰدِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كٰنَمَا يُسٰقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّٰفِئَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذٰتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكٰفِرِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأنفال: ٥-٧] [المجمع، حسن، والطائفتان: غير أبي سفيان وجيش قريش].

وتكلم قادة المهاجرين، وأيدوا الرأي القائل بالسير لملاقاة العدو، منهم أبو بكر وعمر والمقداد بن عمرو. ومما قاله المقداد: «يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه» [ابن إسحاق، حسن]. وفي رواية قال: «لا نقول كما قال قوم موسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك»، وسر النبي ﷺ من قوله [البخاري وأحمد].

وبعد سماعه كلام قادة المهاجرين، قال: «أشيروا علي أيها الناس»، وكان بذلك يريد أن يسمع رأي قادة الأنصار، لأنهم غالبية جنده، ولأن نصوص بيعة العقبة الكبرى لم تكن في ظاهرها ملزمة لهم بحماية الرسول ﷺ خارج المدينة [مسلم]، وأدرك سعد ابن معاذ - حامل لواء الأنصار - مراد الرسول ﷺ، فنهض قائلاً: «والله لكأنك تريدنا

يا رسول الله؟ قال: أجل، قال: فقد آمننا بك فصدّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا وموآثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبرٌ في الحرب صدقٌ في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله». [ابن إسحاق، حسن].

فسر رسول الله ﷺ بقول سعد، ونشّطه ذلك، ثم قال: سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم. [ابن إسحاق، حسن بشواهد].

ورد الرسول ﷺ عمير بن أبي وقاص لصغر سنه (١٦ سنة)، فبكى، فأجازه، فاستشهد يوم بدر. [الطبراني، رجال الصحيح كما قال الهيثمي].

وفي الطريق وعند حرّة الوبرة [موضع على ٤ ميل من المدينة] أدركه رجل من المشركين، قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، أراد أن يحارب معه، فقال له الرسول ﷺ: «ارجع فلن أستعين بمشرك»، ثم عرض له مرة ثانية بالشجرة، ومرة ثالثة بالبيداء، والرسول ﷺ يقول له ما قاله أول مرة، وأخيراً أقر بالإسلام، فقبله الرسول ﷺ. [مسلم].

وعندما وصل قريباً من الصّفراء، بعث بسبس بن الجهني وعدي بن الزغباء الجهني إلى بدر يتحسسان له الأخبار عن أبي سفيان وغيره. [ابن إسحاق، حسن].

ويروى أنه خرج هو وأبو بكر لهذا الغرض، ولقيا شيخاً فسألاه عن جيش قريش، فاشترط عليهما أن يخبراهم عنهما، فوافقا، وطلبا منه أن يخبرهما هو أولاً، فأخبرهما بأنه قد بلغه أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن صدق الذي أخبره فهم اليوم



بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به جيش المسلمين - وإن صدق الذي أخبره بجيش قريش فهم اليوم بمكان كذا - للمكان الذي به جيش قريش.

ولما فرغ من كلامه قال: ممن أنتم؟ فقال له رسول الله ﷺ: «نحن من ماء»، ثم انصرفا عنه، وتركاه يقول: من ماء؟ أمن ماء العراق؟ [ابن إسحاق].

وفي مساء ذلك اليوم أرسل علياً والزبير وسعداً بن أبي وقاص في نفر من أصحابه لجمع المعلومات عن العدو، فوجدوا على ماء بدر غلامين يستقيان لجيش مكة، فأتوا بهما إلى الرسول ﷺ وهو يصلي، وأخذوا في استجوابهما. فأفادا أنها سقاة جيش قريش، فلم يصدقوهما، وكرهوا هذا الجواب، ظناً منهم أنها لأبي سفيان، إذ لا يزال الأمل يحدوهم في الحصول على العير. وضربوهما حتى قالوا إنهما لأبي سفيان.

وعندما فرغ الرسول ﷺ من صلاته عاتب أصحابه لأنهم يضربونها إذا صدقا، ويتركونها إذا كذبا. ثم سألهما الرسول ﷺ عن مكان الجيش المكي، فقالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى.

وعندما سألهما عن عدد جيش مكة وعدته لم يستطيعا تحديد ذلك، ولكنها حددا عدد الجزور التي تنحر يومياً بأنها ما بين التسعة والعشرة، فاستتج الرسول ﷺ بأنهم بين التسعمائة والألف، وذكر له من بالجيش من أشرف مكة. [مسلم وأحمد بسند صحيح]، فقال الرسول ﷺ لأصحابه: «هذه مكة قد ألقى إليكم أفلاذ كبدها». [ابن إسحاق]. وأشار إلى مكان مصارع جماعة من زعماء قريش، فما طأ أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ. [مسلم].

وأنزل الله تعالى في هذه الليلة مطراً طهر به المؤمنين وثبت به الأرض تحت أقدامهم، وجعله وبلاً شديداً على المشركين. [أحمد: المسند، بسند صحيح؛ ابن إسحاق]. وفي هذا قال

تعالى: ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ وَيُذْهِبُ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (الأنفال: ١١).

ومن نعمه على المسلمين يوم بدر أيضًا أن غشيهم النُّعَاسُ أمنة منه، كما في صدر آية نعمة إنزال المطر: ﴿إِذْ غَشَّيْكُمْ النُّعَاسَ أَمْنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ (الأنفال: ١١). [أحمد: المسند، بسند صحيح] الآية.

وروى في ذلك أحمد بسنده إلى أنس بن مالك: أن أبا طلحة قال: «غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم بدر، فكنت فيمن غشيه النعاس يومئذ فجعل سيفي يسقط من يدي وأخذه ويسقط وأخذه».

وزاد الله ﷺ المؤمنين فضلًا بأن أوقع الخلاف في صفوف عدوهم. فقد روى أحمد أن عتبة بن ربيعة أخذ يثني قومه عن القتال محذرًا من مغبته، لأنه علم أن المسلمين سوف يستमितون، فاتهمه أبو جهل بالخوف. [ابن إسحاق، حسن]. وروى البزار أن عتبة قال لقومه يومذاك: «إن الأقارب سوف تقتل بعضهم بعضًا، مما يورث في القلوب مرارة لن تزول. فاتهمه أبو جهل بالخوف، وليريه شجاعته، دعا أخاه وابنه وخرج بينهما داعيًا إلى المبارزة». [المجمع، ورجاله ثقات؛ الطبري: التاريخ، مرسل حسن؛ البداية، بسند صحيح].

وكان الرسول ﷺ قد رأى عتبة على جمل أحمر، فقال: «إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشُدوا». [أحمد: المسند، بسند صحيح]. وشاء الله أن يعصوه، وضاع رأيه وسط إثارة أبي جهل الثارات القديمة.

سبق الرسول ﷺ المشركين إلى ماء بدر، ليحول بينهم وبين الماء. وهنا أبدى الحُبَابُ ابن المنذر رأيه قائلًا: «يا رسول الله، رأيت هذا المنزل، أمنيلاً أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟»، قال: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة».

قال الحباب: «يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم [قريش] فننزله ونغور [نخرب] ما وراءه من القُلب [الآبار] ثم نبني عليه حوضًا فتملأه ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون»، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي». وفعل ما أشار به الحباب بن المنذر رضي الله عنه. [ابن إسحاق، حسن لغيره].

وعندما استقروا في المكان، قال سعد بن معاذ مقترحًا: «يا نبي الله، ألا نبني لك عريشًا تكون فيه، ونعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبًا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك»، فوافق الرسول ﷺ على هذا الاقتراح. [ابن إسحاق، حسن لغيره].

ويفهم من النصوص الواردة في شأن القتال بدر أن الرسول ﷺ شارك في القتال، ولم يمض كل وقته داخل هذا العريش أو في الدعاء، كما فهم بعض كتاب السيرة.

فقد روى أحمد [في المسند، بسند صحيح] عن علي، قال: «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا»، وفي موضع آخر بالسند نفسه: «لما حضر البأس يوم بدر، اتقينا برسول الله ﷺ، وكان من أشد الناس، ما كان أو لم يكن أحد أقرب إلى المشركين منه». [أحمد: المسند، بسند صحيح].

وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم بدر: «لا يتقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه».

وقال ابن كثير [في البداية]: (وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالاً شديداً ببدنه، وكذلك أبو بكر الصديق، كما كانا في العريش يجاهدون بالدعاء والتضرع، ثم نزلا فحرضا وحثا على القتال، وقاتلا بالأبدان جمعاً بين المقامين الشريفين).

وبعد أن اتخذ الرسول ﷺ كل الوسائل المادية الممكنة للنصر في حدود الطاقة البشرية، بات ليلته تلك يتضرع إلى الله ﷻ أن ينصره، ومن دعائه كما جاء في رواية عند مسلم: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» وتقول الرواية: «فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [الأنفال: ٩] فأمدّه الله بالملائكة».

ومما رواه البخاري من دعائه في ذلك اليوم: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تُعبد بعد اليوم»، وتقول الرواية: «فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله، ألححت على ربك، وهو يثب في الدرع فخرج وهو يقول: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ﴾ [القمر: ٤٥]».

وروى ابن أبي حاتم بإسناده إلى عكرمة أنه قال: لما نزلت: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ﴾ قال عمر: «أي جمع يهزم؟ أي جمع يغلب؟ قال عمر: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع، وهو يقول: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ﴾، فعرفت تأويلها يومئذ». [البخاري، النسائي، ابن كثير: التفسير، أحمد، صحيح].

وفي صباح يوم الجمعة، السابع عشر من رمضان - السنة الثانية من الهجرة. [ابن حجر: التلخيص الحبير، ومتفق عليه عند أئمة المغازي]. وعندما تراءى الجمعان، دعا

رسول الله ﷺ ربه قائلاً: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تُحَادِّكَ وتكذب رسولك، اللهم فَتَصْرِكْ الذي وعدتني، اللهم أَحِنِّهِمُ الغداة». [رواه ابن إسحاق معلقاً كما في (ابن هشام ٢ / ٣١٤)]، وقد ثبت أن أبا جهل قال حين التقى القوم: «اللهم أقطعنا للرحم وأتانا بما لا نعرفه فأحنه [أي أهلكه] الغداة». فكان هو المستفتح، أي الحاكم على نفسه بهذا الدعاء، والفتاح الحاكم. وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْهِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩] [وقد روى الخبر بإسناد صحيح أحمد: الرباني (٢١ / ٤٤)، والطبري في التفسير (١٣ / ٤٥٤، شاكر) بإسناد صحيح، والحاكم (٢ / ٣٢٨) وصححه. والدعاء إلى قول الراوي: (فكان هو المستفتح)، رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل، ابن هشام (٢ / ٣٢٣). والخيلاء: التكبر والإعجاب، وتحادك: تعاديك، أحنهم: أهلكهم الآن].

وعندما وقف المسلمون في صفوف القتال، أخذ الرسول ﷺ في تعديل صفوفهم وفي يده قِدْح [سهم بلا ريش] فطعن به سواد بن غزيرة في بطنه، لأنه كان مستنتلاً [متقدماً] من الصف عمداً، وقال له: استويا سواد، فقال سواد: يا رسول الله أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق، فأقذني [أي أعطني القود من نفسك، أو القصاص]، فكشف عن بطنه وقال: استقد، فاعتنقه سواد وقبل بطنه، فقال النبي ﷺ: ما حملك على هذا يا سواد؟ قال: يا رسول الله، قد حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدك جلدي، فدعا له رسول الله ﷺ بخير. [ابن إسحاق؛ عبد الرزاق، مرسلًا يتقوى بغير؛ الهيثمي برجال ثقات].

وشهد سواد المشاهد كلها بعد هذا، كما ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب [من حديث ابن عقبة].

ثم أخذ في توجيههم في أمر الحرب، قائلاً: إذا أكتبوكم [قربوا منكم] فارموهم واستبقوا نبلكم [البخاري]. ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم [أبو داود]. وحرصهم

على القتال، قائلاً: «والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة». [ابن إسحاق]، وفي رواية عند مسلم أنه عندما دنا المشركون قال النبي ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض». وعندما سمع ذلك عمير بن الحُمام الأنصاري، قال: «يا رسول الله! أجنة عرضها السماوات والأرض؟! قال: نعم. قال: بَخٍ بَخٍ. فقال رسول الله ﷺ: «ما يملكك على قولك بَخٍ بَخٍ؟». قال: لا، والله! يا رسول الله! إلا رجاءه أن أكون من أهلها. قال: «فإنك من أهلها، فأخرج تمرات من قرنيه [جعبة النشاب]، فجعل يأكل منهن. ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة. قال: فرمى بها كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل». [ابن إسحاق].

وقال عوف بن الحارث - بن عفراء - : «يا رسول الله، ما يضحك الرب من عبده، قال: «غمسه يده في العدو حاسراً»، فنزع درعاً كانت عليه، فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل. [نفسه].

وطلب الرسول ﷺ من أصحابه، قبل بدء المعركة، ألا يقتلوا نفرًا من بني هاشم وغيرهم لأنهم خرجوا مكرهين، وسمى منهم أبا البخري بن هشام - الذي كان ممن سعى لنقض صحيفة المقاطعة ولم يؤذ النبي ﷺ - والعباس بن عبد المطلب. وعندما سمع أبو حذيفة ذلك قال: «أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس، والله لئن لقيته لأحمنه - أو لأجمنه - بالسيف»، فبلغت مقاتلة رسول الله ﷺ، فقال لعمر: «يا أبا حفص؟ أضرِب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف؟» فقال عمر: «يا رسول الله، دعني فلاضرب عنقه بالسيف، فوالله لقد نافق». فكان أبو حذيفة يقول: «ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذٍ، ولا أزال منها خائفًا إلا أن تكفرها عني الشهادة»، فقتل يوم اليمامة شهيدًا. [ابن إسحاق، حسن].

وقبل ابتداء القتال خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، فقال: «أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه»، وتصدى له حمزة، وضربه ضربة أطارت قدمه بنصف ساقه، ثم حبا إلى الحوض مضرًا بدمائه لير قسمه، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض. [نفسه، حسن].

● المبارزة:

● بعد هذا خرج ثلاثة من فرسان قريش يطلبون المبارزة، وهم: عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة، والوليد بن عتبة. فخرج لهم ثلاثة من شباب الأنصار وهم: عوف ومعوذ ابنا الحارث - وأمهما عفراء - وعبد الله بن رواحة. فلم يقبل فرسان قريش بغير بني أعمامهم من المهاجرين، فأمر الرسول ﷺ عبيدة بن الحارث وحمزة وعلي أن يبارزواهم. وكان حمزة لعتبة، وعبيدة للوليد، وعلي لشيبة، وقتل علي وحمزة صاحبيهما وأعانا عبيدة على قتل الوليد، واحتملا عبيدة الذي أثخنه الوليد بالجراح. [أبو داود، وقال ابن حجر في الفتح إنها أصح الروايات].

وفي هؤلاء الستة نزل قول الله تعالى: ﴿ هَذَا نَحْصَانٌ أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَأَلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾ [الحج: ١٩].

ثم طلب الرسول ﷺ من علي أن يناوله كفاً من حصي، فناوله ذلك، فرمى به وجه القوم، فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء، فنزلت الآية الكريمة: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال: ١٧]. [المجمع، موصولاً، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح].

● الملائكة تشهد بدراً:

● ونزل المسلمون ساحة المعركة بقوة إيمانية كبيرة، وشدوا على المشركين، وأخذوا في اقتطاف رؤوسهم، وأمدهم الله بالملائكة لينصرهم على عدوهم، كما في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣] الآيات، و ﴿إِذْ تَسْتَفِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] و ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢].

وكما روي من الأحاديث في هذا الشأن. فقد روى مسلم في هذا: «بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: أَقْدِمْ حَيْزُومٌ، فنظر إلى المشرك أمامه، فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فنظر إليه فإذا هو قد خَطِمَ أَنْفُهُ، وَشَقَّ وَجْهَهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ، فاخْضَرَ ذلك أَجْمَعُ. فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «صدقت. ذلك من مَدَدِ السَّمَاءِ الثالثة». [وخطم: أصيب بضربه، وتركت الضربة أثرًا].

وروى أحمد أن رجلاً من الأنصار قصير القامة جاء بالعباس أسيراً، فقال العباس: «يا رسول الله، إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أَجْلَحٌ من أحسن الناس وجهًا، على فرس أَبْلَقٌ، ما أراه في القوم»، فقال الأنصاري: «أنا أسرته يا رسول الله. فقال: اسكت، فقد أيدك الله تعالى بملك كريم». [المسند، بسند صحيح].

وروى الأموي أن الرسول ﷺ خفق خفقة في العريش ثم انتبه، فقال: «أبشر أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل معتجر بعمامة، أخذًا بِعَنَانٍ فرسه يقوده على ثنأياه النَّقْعُ، أتاك نصر الله وعدته». [ابن إسحاق، حسنه الألباني في حاشية سيرة الغزالي].

ورويت أحاديث في مشاركة الملائكة المسلمين يوم بدر ولم تصرح بالقتال. فقد روى البخاري أن النبي ﷺ قال يوم بدر: «هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب»، وقال في رواية أخرى: «جاء جبريل النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: أفضل من المسلمين - أو كلمة نحوها - قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة». [البخاري].

وروى الحاكم [بسند حسن] أنه كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء معتجراً بها، فنزلت الملائكة عليهم عمام صفراء، على سيما الزبير. وروى ذلك كذلك ابن سعد. [وصححه ابن حجر في الإصابة].

لقد أكرم الله عباده المؤمنين يوم بدر ببعض الكرامات. فقد روي أن عكاشة ابن محصن قاتل بسيفه يوم بدر حتى انقطع يده، فأعطاه الرسول ﷺ جذاً من حطب ليقاتل به، فإذا هو في يده سيفاً طويلاً شديد المتن أبيض الحديدية، فقاتل به يوم ذاك وفي المعارك الأخرى التي شهدتها بعد ذلك، وأخرها يوم اليمامة - أحد أيام حروب الردة - حين قتل شهيداً. [ابن إسحاق، الواقدي؛ ابن سعد].

وعندما رأى إبليس - وكان في صورة سراقه بن مالك - ما تفعل الملائكة والمؤمنون بالمشركين، فرناكصاً على عقبيه، حتى ألقى بنفسه في البحر. [الطبري: التفسير، بطرق تعضد].

● مصرع الطغاة:

أبي جهل وأمية بن خلف والعاص بن المغيرة:

أ- أبو جهل:

روى البخاري ومسلم من حديث عبد الرحمن بن عوف أنه قال: «إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت، فإذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السن، فكأنني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عم، أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي، فما تصنع به؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، قال: والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك. وغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه، قال: فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا

إلى رسول الله ﷺ فقال: أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، قال: هل مسحتها سيفيكما؟ فقالا: لا. فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين، فقال: كلاكما قتله، وقضى رسول الله ﷺ بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح [لأن الثاني استشهد]، والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء» واستشهد معاذ في المعركة.

وروى ابن إسحاق [بسند حسن] من حديث معاذ بن الجموح أنه قال: «سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرّجة، وهم يقولون: أبو الحكم لا يخلص إليه، قال: فلما سمعتها جعلته من شأني، فصمدت نحوه، فلما أمكنني حملت عليه، فضربتته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه... وضربني ابنه عكرمة على عاتقي، فطرح يدي، فتعلقت بجلدة من جنبي، وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عامة يومي وأني لأسحبها خلفي، فلما آذنتي وضعت عليها قدمي، ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها، ثم مر بأبي جهل - وهو عقير - معوذ ابن عفراء - فضربه حتى ثبته فتركه وبه رمق، وقاتل معوذ حتى قتل».

وروى البخاري أن النبي ﷺ قال: عندما انجلت المعركة: «من ينظر ما صنع أبو جهل؟ فانطلق ابن مسعود، فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برّد، قال: أنت أبو جهل؟ قال: فأخذ بلحيته، قال: وهل فوق رجل قتلتموه، أو رجل قتله قومه؟».

وفي رواية أحمد أن الرسول ﷺ ذهب مع ابن مسعود ليرى جسد أبي جهل، وقال: «كان هذا فرعون هذه الأمة». [المسند].

وفي رواية ابن إسحاق أن أبا جهل قال لابن مسعود عندما جثا عليه: «لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم».

ب- أمية بن خلف:

تمكن عبد الرحمن بن عوف من أسر أمية، وعندما رآه بلال معه، قال: «رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا»، وحاول عبد الرحمن أن يثنيه عن عزمه فلم يستطع،

بل استنفر بلال الأنصار، فلحقوا به معه وقتلوه، مع أن ابن عوف ألقى عليه نفسه وأمية بارك. فكان عبد الرحمن يقول: «يرحم الله بلالاً، ذهبت أدرعي، وفجعني بأسيري». [البخاري؛ ابن إسحاق، بسند حسن].

وعندما طرح قتلى المشركين في القليب، لم يطرح معهم، لأنه انتفخ في درعه فملأها، وعندما ذهبوا ليحركوه تفرقت أعضاؤه، فتركوه في مكانه، وألقوا عليه ما غيبه من الحجارة والتراب [ابن إسحاق، حسن].

ج- العاص بن هشام بن المغيرة:

كان العاص بن هشام بن المغيرة خال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولذا حرص عمر على قتله، فقتله حتى يعلم أن ليس في قلبه ولاء إلا لله وحده. [ابن هشام].

لقد انجلت معركة بدر عن نصر كبير للمسلمين، إذ قتلوا سبعين من المشركين، وأسروا سبعين [مسلم؛ أحمد في المسند بسند صحيح]، ولم يقتل من المسلمين سوى أربعة عشر رجلاً، ستة من قريش وثمانية من الأنصار. [البداية من حديث ابن عقبة].

لقد كان جزاء الله عادلاً في هؤلاء ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ

الْبُورِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَنْسِكُ إِلَيْهَا ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨-٢٩] [البخاري].

● دفن قتلى المشركين في القليب [البئر التي لم تطوى]:

● روى البخاري ومسلم وأحمد وابن إسحاق والطبراني وغيرهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش [كان مجموع قتلى المشركين سبعين كما سبق ذكره، وكما سيأتي ذكره، فلعل الآخرين دفنوا في أماكن أخرى كما في الفتح] فقدفوا في طوي من أطواء بدر خبيث محبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه، وقالوا: ما نرى

ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شَفَةِ الرَّكِيَّةِ فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: «يا فلان ابن فلان، ويا فلان بن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟» فقال عمر: «يا رسول الله، ما تُكَلِّمُ من أجسادٍ لا أرواح لها»، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم». [وإسناد أحمد وابن إسحاق والطبراني صحيح].

وعندما ألقوا في القليب، وفيهم عتبة بن ربيعة، نظر رسول الله ﷺ إلى وجه ابنه أبي حذيفة، فإذا هو كئيب قد تغير لونه، فقال له النبي ﷺ: «لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟» فقال: «لا والله يا رسول الله، ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكنني كنت أعرف من أبي رأيًا وحلمًا وفضلًا، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه، وذكرت ما مات عليه من الكفر، بعد الذي كنت أرجو له، أحزنني ذلك. فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له خيرًا». [ابن إسحاق، حسن].

وبعد نهاية المعركة وانتصار المسلمين وأخذ الأسرى، قيل للرسول ﷺ: «عليك بالعر، ليس دونها شيء». فناداه العباس أن ذلك لا يصلح له، قال: ولم؟ قال: «لأن الله عز وجل إنما وعدك إحدى الطائفتين، وقد أعطاك ما وعدك». [مسند أحمد، وصححه شاكر، وجوده ابن كثير في التفسير، وحسنه الترمذي].

وكانت وقعة بدر الكبرى يوم الجمعة صبيحة سبع عشر من رمضان، العام التالي للهجرة. [ابن إسحاق، ابن سعد].

الغنائم:

وقع خلاف بين المسلمين حول الغنائم، لأن حكمها لم يكن قد شرع يومذاك. وقد حكى عبادة بن الصامت ما حدث قائلًا: «خرجنا مع رسول الله ﷺ فشهدت معه بدرًا. فالتقى الناس، فهزم الله تبارك وتعالى العدو، فانطلقت طائفة في آثارهم، يهزمون

ويقتلون، وأكبت طائفة على المعسكر يحوونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل، وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، فنحن نفينا عنها العدو، وهزمناهم، وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا، نحن أحدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة، واشتغلنا به، فنزلت: ﴿سَأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصِدِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١] [تفسير الطبري، بأسانيد بعضها صحيح، ابن إسحاق، حسن]، فقسمها رسول الله ﷺ على فُواق بين المسلمين «أي بالتساوي، أو بسرعة قدر فواق ناقة، والفواق ما بين حلبتي الناقة. وقيل أراد التفضيل في الغنيمة كأنه جعل بعضهم أفوق من بعض على قدر غنائمهم وبلائهم. [أحمد: المسند، جيد].

ومما يدل على أن الغنائم قد خُمست ووزعت على المشاركين فيها ما رواه البخاري عن علي أن الرسول ﷺ أعطاه مما أفاء الله عليه من الخمس يومئذ. وقد أسهم الرسول ﷺ لتسعة من الصحابة لم يشهدوا بدرًا لأعمال كلفوا بها في المدينة أو لأعدار مباحة، منهم عثمان بن عفان، لأنه كان يمرض زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ. وقد توفيت ودفنت يوم عودة الرسول ﷺ وأصحابه من بدر. [أحمد: المسند، بسند صحيح].

وكان تقسيم الغنائم في منطقة الصَّفراء في طريق العودة إلى المدينة [ابن إسحاق]. وأخذت الأسرى إلى المدينة. وقد أرسل زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ليزفا البشرى إلى أهل المدينة. وقد تلقوا النبأ بسرور بالغ مشوب بالحذر من أن لا يكون مؤكداً، قال أسامة بن زيد: «فوالله ما صدقت حتى رأينا الأسارى». [البداية، من رواية البيهقي، بسند صحيح، الحاكم، صحيح؛ ابن أبي شيبة؛ ابن إسحاق].

ودهشت سودة ﷺ عندما رأت سهيل بن عمرو ويدها معقودتان إلى عنقه بجبل فقالت: «أبا يزيد، أعطيتم بأيديكم، ألا متم كراماً!!»، فقال رسول الله ﷺ: «أعلى الله وعلى رسوله؟!!!» - أي تولين - فقالت: «يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما ملكت حين رأيت أبا يزيد مجموعة يدها إلى عنقه بالحبل أن قلت ما قلت». [الحاكم من حديث ابن إسحاق، وصححه هو والذهبي].

الأسرى:

استشار الرسول ﷺ الصحابة في أمر الأسرى. فأشار أبو بكر بأخذ الفدية منهم بحجة أن في ذلك قوة للمسلمين على الكفار، وعسى الله أن يهديهم للإسلام. ورأى عمر قتلهم، لأنهم أئمة الكفر. ومال الرسول ﷺ لرأي أبي بكر. فنزل القرآن موافقاً لرأي عمر، وهو قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ تَوَلَّا كَيْفَ مَنَ اللَّهُ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٨] [تفسير الطبري، بسند حسن] إلى قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال: ٦٩] [مسلم].

وكان أخذ الفداء حلالاً في أول الإسلام، ثم جعل فيما بعد الخيار للإمام بين القتل أو الفداء حلالاً في أول الإسلام، ثم جعل فيما بعد الخيار للإمام بين القتل أو الفداء أو المن ما عدا الأطفال والنساء، إذ لا يجوز قتلهم، ما داموا غير محاربين [المغني].

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَخْتَضْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَأْبُودٌ وَإِمَّا فَدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمد: ٤].

وقد تباين فداء الأسرى. فمن كان ذا مال أخذ فداؤه أربعة آلاف درهم. ومن أخذ منه أربعة آلاف درهم أبو وداعة. [الطبراني في المجمع، عبد الرزاق؛ أبو داود؛ ابن هشام،



وأسانيدهم تعتصد]. وأخذوا من العباس مائة أوقية، ومن عقيل بن أبي طالب ثمانين أوقية، دفعها عنه العباس، وأخذوا من آخرين أربعين أوقية فقط. [دلائل أبو نعيم، حسن ابن حجر في الفتح].

وأطلق الرسول ﷺ سراح عمرو بن أبي سفيان مقابل أن يطلقوا سراح سعد ابن النعمان بن أكال، الذي أسره أبو سفيان وهو يعتمر. [ابن إسحاق].

ومن لم يكن لديهم مقدرة على الفداء، وكانوا يعرفون الكتابة، جعل فداؤهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة. فقد روى أحمد عن ابن عباس، قال: «كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، فجاء غلام يوماً يبكي إلى أبيه، فقال: ما شأنك؟ قال: ضربني معلمي، قال: الخبيث! يطلب بذخل [ثأر] بدر! والله لا تأتيه أبداً». [المسند، بسند صحيح].

وكانوا يقبلون من بعض الأسارى ما عندهم إذا تعذر المفروض، فقد أرسلت زينب بنت رسول الله ﷺ قلادة لها لتفدي زوجها أبا العاص بن الربيع، الذي فرق بينهما الإسلام، فردوها لها، وأطلقوا لها أسيرها لمكانتها عند والدها محمد ﷺ [أحمد: المسند، بسند صحيح؛ ابن إسحاق بسند صحيح]، وبهذا كان ابن الربيع ممن أطلق بدون فداء، وأطلق الرسول ﷺ ممن لم يقدر على الفداء بأي شكل من الأشكال، منهم: المطلب بن حنطب المخزومي، وصيفي بن أبي رفاعة، وأبو عزة الشاعر. [ابن إسحاق].

ومما يدل على أنه كان بالإمكان إطلاق سراحهم جميعاً بدون فداء، قول الرسول ﷺ: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء التتني [العفنين] لأطلقتهم له» [البخاري]. وذلك لما قام به من حماية للرسول ﷺ عندما عاد من هجرته إلى الطائف، ودوره في تمزيق صحيفة المقاطعة.

وعندما استأذن رجال من الأنصار النبي ﷺ في ترك فداء العباس، قال: «والله لا تذرون منه درهما»، [البخاري]، وذلك على الرغم من أن العباس ذكر أنه كان مسلماً، وأنه خرج مستكرهاً. [تفسير الطبري، بسند حسن].

وأخبر الرسول ﷺ عمه العباس - وهو أسير هنا - بما دفن هو وزوجته أم الفضل من المال تحت عتبة بابهم، فأقر له العباس بذلك [أحمد: المسند، بسند صحيح].

وفي طريق العودة إلى المدينة، قتل النضر بن الحارث بمنطقة الصفراء - قتله علي -، وقتل عقبة بن أبي معيط بمنطقة عرق الظبية - قتله عاصم بن ثابت [ابن إسحاق]، ويقال: قتله علي، [ابن هشام (٣٤٧/٢) بإسناد منقطع]، وروي أن الآية: ﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْبًا ﴾ [٢٧] يَنْوَلَّتِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٨] قد نزلت فيه. أخرج ابن جرير عن ابن عباس [١٩/٦]: «كان أبي بن خلف يحضر النبي ﷺ فزجره عقبة بن أبي معيط، فنزل: ﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾ الآية، إلى قوله:

﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٩] قال: ﴿ الظَّالِمِ ﴾ عقبة، و﴿ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ [٢٨] أبي بن خلف». [انظر: ابن كثير: التفسير (١١٦/٦)، حاشية رقم (٥)].

وقال ابن كثير هنا: (وسواء كان سبب نزولها في عقبة بن أبي معيط أو غيره، فإنها عامة في كل ظالم). وذلك لعداوتها الشديدة لدعوة الرسول ﷺ، وتلك نهاية الجبروت والشجاعة الزائفة. فقد رأينا عقبة، لصيق قريش، واليهودي الأصل، يعود إلى حقيقته عندما قال للرسول ﷺ مسترحماً: «من للصبية يا رسول الله؟ فأجابه: النار». [الطبراني الكبير، والأوسط، برجال الصحيح].

وروى الطبراني [كما في سبل الشامى] بسنده إلى ابن عباس، وابن زنجويه في كتاب الأموال [بسند مرسل صحيح]: أن الرسول ﷺ قتل صبراً كذلك طعيمة بن عدي.

أما بقية الأسرى فقد استوصى بهم الرسول ﷺ خيراً [الطبراني، كما في المجمع بسند حسن]، فقد حكى أبو عزيز - شقيق مصعب بن عمير - وهو بين رهط من أسريه الأنصار - أن أسريه كانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوه بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ بالأسرى. حتى ما تقع في يد أحدهم خبزة إلا ناوله إياها، فيستحيي فيردها على أحدهم، فيردها عليه ما يمسه. [ابن إسحاق].

وأسلم كثير من هؤلاء الأسرى على فترات مختلفة قبل فتح مكة وبعدها، منهم: العباس، عقيل بن أبي طالب، نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، خالد بن هشام، عبد الله بن السائب، المطلب بن حنطب بن الحارث، أبو وداعة الحارث بن صبيرة، الحجاج ابن الحارث بن قيس، عبد الله بن أبي بن خلف، وهب بن عمير، سهيل بن عمرو، عبد ابن زمعة، قيس بن السائب، نسطاس مولى أمية بن خلف،... [السهيلي]. ولسهيل بن عمرو هنا قصة، فقد روى ابن أبي شيبة [في المغازي بسند مرسل صحيح] من حديث عطاء قال: كان سهيل بن عمرو رجلاً أعلم [مشقوق] من شفته السفلى، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله ﷺ يوم أسر بدير: يا رسول الله! أنزع ثيبي السفليين، فيدلع لسانه [أي يخرج لسانه عند الكلام]، فلا يقوم عليك خطيباً بموطن أبداً، فقال: «لا أمثل فيمثل الله بي». [يلدغ: يخرج لسانه حين الكلام].

وزاد ابن إسحاق [مرسل متصل ورجاله ثقات] في روايته: «... وإن كنت نبياً»، ثم قال ابن إسحاق: (وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لعمر في هذا الحديث «إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه»). وقال الشامي [في السبل]: (روى الحاكم والبيهقي... عن محمد ابن الحنفية، قال: قال عمر: ... فقال رسول الله ﷺ: «دعه، فلعله أن يسرك يوماً»، وقال الراوي - سفيان بن عيينة - : فلما مات النبي ﷺ نفر منه أهل مكة، فقام سهيل

ابن عمرو عند الكعبة، فقال: «من كان محمد إلهه فإن محمداً قد مات، والله حي لا يموت» [المستدرک؛ ابن هشام؛ الخصائص].

وروى ابن سعد - كما ذكر الشامي [في السبل] - بسنده إلى أبي عمرو بن عدي بن الحمراء الخزاعي، قال: نظرت إلى سهيل بن عمرو يوم جاء نبي ﷺ إلى مكة وقد خطبنا بخطبة أبي بكر التي خطبت بالمدينة، كأنه سمعها، فلما بلغ ذلك عمر قال: «أشهد أن محمداً رسول الله، وأن ما جاء به حق، هذا هو المقام الذي عني رسول الله ﷺ حين قال لي: «لعله يقوم مقاماً لا تكرهه».

مكانة غزوة بدر في التاريخ؛

كانت موقعة بدر ذات أثر كبير في إعلاء شأن الإسلام، ولذا سميت في القرآن بيوم الفرقان. وأوضحت الأحاديث فضل البدرين وعلو مقامهم في الجنة. فقد عقد البخاري باباً في فضل من شهدها. وفيه قصة حارثة بن سراقة الذي أصابه سهم طائش يوم بدر، وهو غلام، وجاءت أمه تسأل عن مصيره يوم القيامة، فبشرها الرسول ﷺ بأن له جناتاً كثيرة وأنه في جنة الفردوس.

وفي قصة حاطب بن أبي بلتعة الذي أرسل إلى قريش يخبرهم بنية الرسول ﷺ فتح مكة، فكشفه الوحي، وعفا عنه الرسول ﷺ، وقال لعمر حين طالب بقتله: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو: فقد غفرت لكم». [مسلم]. ولما قال عبد من عبيد حاطب: «يا رسول الله، ليدخلن حاطب النار». قال رسول الله ﷺ: «كذبت، لا يدخلها، فإنه شهد بدرًا والحديبية». [المصدر مسلم].

وكانت لبدر الأثر العميق في المدينة وبقية حواضر وبادي الجزيرة العربية، فقد استعلى المؤمنون في المدينة على اليهود وبقايا المشركين. فانخذل اليهود، وجاهروا بالعداوة مما كان سبباً في إجلاء بني قينقاع عن المدينة - كما سيأتي.

وأسلم من زالت الغشاوة عن عينيه، ووافق من أضله الله حفاظاً على مصالحه الخاصة، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول، الذي قال حينذاك: «هذا أمر قد تَوَجَّه -أي: استقر- فلا مطمع في إزالته». [البخاري].

ومن بين من عرف بالنفاق من أحرار اليهود بالمدينة: زيد بن اللصيت - رافع ابن حريملة - رفاعه بن زيد بن التابوت - سويد بن الحارث - سعد بن حنيف - نعمان بن أوفى بن عمرو - وأخوه عثمان بن أوفى - سلسلة بن يرهام - كنانة بن صوريا. ومن بين من عرفوا بالنفاق من مشركي المدينة، إضافة إلى عبد الله بن أبي بن سلول: زوى بن الحارث - جلاس بن سويد - وأخوه الحارث بن سويد - نبتل بن الحارث - مربع بن قيظي - وأخوه أوس بن قيظي - حاطب بن أمية بن رافع - بشير بن أبيرق أبو طعمة - قُزَّمان.

وقد أسلم من أسلم منهم وحسن إسلامه، ومات على النفاق من مات منهم، وستأتي أخبار كثير منهم ومواقفهم من الإسلام من خلال أحداث السيرة.

● أحكام وحكم من غزوة بدر:

● لقد تضمنت أحداث غزوة بدر أحكامًا وحكمًا كثيرة، من أهمها:

١ - جواز النكاية بالعدو، بقتل رجالهم وأخذ أموالهم وإخافة طرقهم التي يسلكونها، لما في ذلك من إضعافهم معنويًا واقتصاديًا.

٢ - جواز استخدام العيون لكشف أحوال العدو وإفشال خططه.

٣ - تأكيد الرسول ﷺ على مبدأ الشورى لأهل الحل والعقد وعامة المسلمين، وقد وردت أدلة على حجية الشورى في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسنة الخلفاء الراشدين.

فالأدلة من القرآن، قول الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، و﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]؛ ومن السنة استشارة الرسول ﷺ لأصحابه في الخروج أو البقاء في المدينة يوم أحد، وفي مصالحة بعض الأحزاب يوم الخندق على ثلث ثمار المدينة، وغير ذلك كثير مما سنقف عليه في هذا الكتاب. وقد قال أبو هريرة رضي الله عنه: «ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ». [الترمذي، ومعناه صحيح].

أما أدلة حجيتها من سنة الخلفاء الراشدين قول ابن الخطاب في الشورى عند اختيار الحاكم: «الإمارة شورى»، «من دعا إلى إمارة نفسه أو غيره من غير مشورة من المسلمين فلا يحل لكم إلا أن تقتلوه»، «فمن بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا الذي بايعه». [البخاري؛ عبد الرزاق، بأسانيد صحيحة].

٤- جواز المبارزة بإذن الأمير، وهذا قول عامة أهل العلم [ابن قدامة].

٥- المساواة بين الجندي وقائده في السلم والحرب سواء، وقد اتضح ذلك من قصة سواد بن غزوية مع الرسول ﷺ، إذ كشف الرسول ﷺ عن بطنه ليقتاد منه سواد. وهو فعل الخلفاء من بعده: أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

٦- جواز فداء الأسارى أو المن عليهم.

٧- لا حرج من قتل الأسير قبل أن يصل إلى يد الإمام، كما فعل بلال ومن معه من الأنصار عندما قتلوا أمية بن خلف وهو في أسر عبد الرحمن بن عوف.

٨- أحلت الغنيمة لهذه الأمة، وقسمتها على المقاتلين بعد تخميسها.

٩- من قتل قتيلاً فله سلبه، على شرط: أن يكون المقتول من المقاتلة وليس ممن نهى

الرسول ﷺ عن قتلهم، وهم النساء والصبيان والشيخوخة... إلخ، وأن يكون في



المقتول منفعة وغير مثنى بالجراح، أن يقتله أو يشخه بجراح تجعله في حكم المقتول، وأن يقرر بنفسه في قتله، فأما إن رماه بسهم من صف المسلمين فقتله فلا سلب له. [ابن قدامة: المغني].

١٠- دلت واقعة قضية الأسرى على أن الرسول ﷺ كان له أن يجتهد، والذين ذهبوا إلى هذا - وهم جمهور علماء الأصول - استدلوا على ذلك بمسألة أسرى بدر. وإذا صح للرسول ﷺ أن يجتهد، صح منه بناء على ذلك أن يخطئ في الاجتهاد ويصيب. غير أن الخطأ لا يستمر، بل لا بد من أن تنزل آية من القرآن تصحح له اجتهاده، فإذا لم تنزل آية فهو دليل على صحة اجتهاده ﷺ.

١١- الأصل أن يبذل المسلمون كافة جهودهم في الإعداد للمعركة وفي مجابهة العدو، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ومع ذلك فإن الله يؤيد جنده بخوارق لتعينهم على النصر، إذا كانوا أهلاً له، كما حصل بإمداد الملائكة في بدر، وبأن غشى الله النعاس عيون المؤمنين، وأنزل عليهم المطر.

١٢- نبه الله المؤمنين إلى حقيقة هامة وهي أن لا يجعلوا حب المال يسيطر عليهم عند النظر في قضاياهم الكبرى التي قامت على أساس النظرة الدينية وحدها، مهما كانت الحال والظروف، ولذا عالج الله تجربة رؤية الغنائم مع الحاجة والفقر واختلافهم فيها، ومسألة الأسرى، بوسائل تربوية دقيقة، كما في قوله تعالى: ﴿سَأَلْنَا عَنْ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصِدِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] و﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّىٰ﴾ [الأنفال: ٦٧]... ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧] [البوطي: السيرة].

١٣- إن أهل بدر مغفور لهم يوم القيامة، أما أحكام الدنيا فإنها تؤخذ منهم، ويعاقبون عليها إن أتوها كما وقع لقدامة بن مظعون، عندما حد في الخمر.

١٤- إن من سنة الرسول ﷺ بعد انتهاء المعركة أن يقيم في العرصة - مكانها - ثلاثة أيام.

١٥- السنة في الشهداء أن يدفنوا في مضاجعهم، كما حدث لشهداء بدر وأحد، ولا يصلى عليهم كما ثبت بالنسبة لشهداء أحد، ولم يذكر أنه صلى على شهداء بدر. [انظر في هذا كله: مرويات بدر لباوزير].

١٦- لقد تجلت في بدر بطولات إيمانية كثيرة، على سبيل المثال: ما روي من أن أبا عبيدة عامر بن الجراح قتل والده الجراح يوم بدر. فقد جعل والد أبي عبيدة يتصدى لابنه أبي عبيدة يومذاك فيحيد عنه الابن، فلما أكثر قصده فقتله، فنزلت الآية: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] [الطبراني، بسند جيد كما ذكر في الإصابة والخبير].

وروى ابن إسحاق من حديث أبي عزيز بن عمير قال: «مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: شُدَّ يدك به فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك!..».

وزاد ابن هشام على هذه الرواية فقال: «فلما قال أخوه مصعب بن عمير لأبي اليسر - وهو الذي أسره - ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخي، هذه وصاتك بي! فقال له مصعب: إنه أخي دونك!..».

